وبلغ ما دفع من الاعانة الى كتائب الوجه القبلي حتى اسوان ١٤١٫٠٠ ج٠م سنة ١٨٩٨ و٣٠٩٫٨٠ سنة ١٨٩٩ و٤٨٥٫٩٥ سنة ١٩٠٠ و٨٨١٫٣٥ سنة ١٩٠١ و١٤٠٨٫٢١ سنة ١٩٠٢ و٢٧٥٢٫٠٠ سنة ١٩٠٣ . فيكون مجموع الاعانة التي دفعت الى كتائب القاهرة والوجهين البحري والقبلي معاً ٦٧٥١٫٨٥ ج . م في السنة الماضية

نبأ من اليابان

لقد كان المقتطف اول مجلة عربية نوهت بذكر اليابان وكتبت عنها المقالات الضافية معجبة بتقدمها السريع . ولم نخطئها الأ في اشتباكها مع الروس في حرب تعود عليها بالوبال سواء خرجت منها مغلوبة او غالبة لانها ستضطر ان تستدين الاموال الطائلة من اوربا فتحمل جميلها وترضخ لسيطرتها . فان ابتعادها عن ذلك حتى الآن هو الذي سهّل عليها السير السريع في مراقي العمران كما قال لها الفيلسوف سبنسر في نصيحته لها وارتطامها في حمأة الدين من الماليين الاوربيين سيخلّ بديها ويعرقل مساعيها الأ اذا كان في شعبها من القوى الادبية الراسخة في نفوسهم ما يحملهم امنع من عقاب الجو . ويظهر من المقالة التالية ان ذلك يكاد يكون شأنهم اذا كان كاتبها منزهاً عن الغرض ولم يكن قد اقتصر فيها على ذكر الكمالات مغضياً عن النقائص تمهيداً لقرض جديد يريد ان يقنع الماليين بالاقدام عليه . ومهما يكن من امره فالمقالة حرية بالنشر لانها تدلُّ على فضائل حقيقية في الامة اليابانية وتكشف الستار عما كنا نودُّ معرفتهُ من امرها وهي للكاتب التزباشر وقد نشرت في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية . قال كاتبها ما خلاصتهُ

قال احد كتّاب اليابانيين منذ عهد غير قريب "من جهل شيئاً عاداه" وهذا شأن اليابانيين فانهم كانوا يجهلون الاوربيين والاميركيين ولذلك كانوا يحسبونهم برابرة ويسيئون الظن فيهم وكذلك يحسب الاوربيون ان عمران اليابان سطحي حديث النشأة وسيزول سريعاً كما نشأ ويخلع اليابانيون الرداء الاوربي الذي تردّوا بهِ ويعودون الى عنصرهم الاول

والحقيقة التي لا ريب فيها ان الاساس الذي بنى اليابانيون عمرانهم عليهِ قديم جداً اسّسوهُ لما كان الاوربيون في مهدهم وظلوا يبنون فيهِ حجراً بعد حجر الى ان اتموهُ بما اقتبسوهُ حديثاً من الاوربيين . فالاوربي والاميركي اللذان ينظران الى الامور نظراً سطحياً من غير امعان يحسبان هذا العمران سطحياً قريب الغور نشأ بالامس من غير مسوّغ واما اليابانيون

فيعلمون ان ما بلغتهُ بلادهم الآن امر طبيعي لابدَّ منهُ وهو مبنيٌّ على اخلاق الشعب وتقاليدهم"

واذا اردنا ان نعرف كيف تمكَّن اليابانيون من اصلاح امورهم بهذه السرعة الغريبة وما هو الغرض الذي يرمون اليهِ وجب ان ننظر في شؤونهم من وجهتهم ونطَّلع على احوالهم مما كتبوهُ هم عنها. ولقد نلقى هناك ما تستفيد منهُ اوربا واميركا مقدار ما استفادت اليابان منهما

قال الكاتب الياباني المشار اليهِ آنفاً ما ترجمتهُ

" لقد تعلَّمنا الملاحة (سلك الابحر) منذ عشرين سنة ولكن تدرُّب قوانا العقلية الذي مكننا من تعلُّمها لم يتم في عشرين سنة ولا في مئتي سنة بل تمَّ هو وغيرهُ في مئات والوف من السنين والفضل فيهِ لاسلافنا الذين واظبوا على ما يرقي قوى العقل

" ولقد كنا دائماً امَّة متمدنة وكان عمرانا مرتقياً وانما كان ينقصنا ان نطبِّقهُ على مطالب هذا العصر لذلك يجب علينا ان لا نكتفي بتعلم الملاحة بل يجب ان نتعلَّم ايضاً كل فرع من فروع المعارف الاوربية مهما كان طفيفاً ونتمسك بالنافع منها ونترك ما لا ينفع منهُ فنزيد قوةً ومنعةً

" لندخل ميدان هذا العالَم ونحاضرَّ فيهِ بالصبر ونبارِ الامم الاخرى في العلوم والفنون ونبيِّن لهم مقدرتنا فتقوى بلادنا وتستقل وهذا غاية منانا "

هذا ما قالهُ هذا الكاتب منذ عشرين سنة حينما كان الاوربيون يحسبون اليابان مثل سيام وليبريا وغيرهما من ممالك المشرق المنحطة . ولقد تكلل سعيهُ وسعي غيرهِ من المصلحين بالنجاح فرقوا بلادهم وجعلوها من مصاف الدول الكبرى . والآن نلتفت الى ماضي اليابان والى كيفية انتقالها السريع متوخين الاختصار التام

ان تاريخ اليابان القديم غامض لا تعلم حقيقتهُ لكن من المقرَّر ان ملكها الحالي من اسرة قديمة جدًّا حكمت البلاد منذ ٢٥٠٠ سنة من غير انقطاع . ويستدلُّ من ذلك وغيرهِ على انها كانت مملكة منتظمة قبل الاسكندر المكدوني بثلاثمئة سنة . وكانت سفنها تسير الى كوريا قبل المسيح بسبع مئة سنة فكان اليابانيون امة بحرية حليفة اسفار من ذلك العهد . واحصى الملك سوجن عدد السكان سنة ٨٦ قبل المسيح ثم امر الملك كوتوكو سنة ٦٤٥ ان يعاد هذا الاحصاء مرة كل ست سنوات

ووضعت اليابان نظام البريد سنة ٢٠٢ للميلاد وانتظمت شؤونها في القرن السابع والثامن وسنت حينئذٍ القوانين التي رسخت في اذهان اليابانيين الغيرة الوطنية واكرام النفس من غير اثرة واللطف والدعة والطاعة ومنها قوانين الامير شوتوكو التي ينظر اليها اليابانيون حتى الآن كما ننظر نحن الى وصايا موسى العشر وهي

" الاتفاق والوئام يفوقان كل ثمن والطاعة للقوانين المقرَّرة اول واجبات الانسان . لكن لكل فريق من الناس آراء تخالف آراء غيره فنشأ من ذلك عصيان الملوك وعقوق الآباء والخصام بين الجيران والاقارب . ولا يستقيم حال الامة ولا تثبت على اساس مكين مالم يتفق الكبراء بعضهم مع بعض ويتصافوا مع الذين دونهم ويفصلوا كل خلاف وخصومة بالتحكيم

" يجب ان تطاع اوامر الملك وان يكون لشعبه مرشداً امينًا والاَّ ساءت حال الامة وتولاَّها الخراب والاضمحلال

" يجب ان يحترم الوزراء وسائر رجال الدولة ويعطى كل ذي منصب حقهُ من الاكرام

" خير شرائع البشر ان يجازي المحسن ويعاقب المسيء . من احسن عملاً فلهُ جزاؤهُ ومن اساء فلهُ العقاب . التدليس والخداع يقوضان الدولة ويزهقان روح الامة

" لا عون بلا ثقة والثقة لازمة لكل عمل ولا يمكن حلُّ مشكل من المشاكل من غير ثقة . اذا وثق رجال الدولة بعضهم ببعض سهل عليهم تدبير المهام واذا زادت الثقة من بين الحاكم والمحكوم فسدت الامور كلها

" الجم الغيظ واطرح الغضب واقلِ عثرة اخيك

" اذا آخذتَ المرء بهفواتهِ لم يمنعهُ ذلك من ارتكابها ثانية والمؤاخذ لا يسلم من الخطإ . وسبيل النجاح هو السبيل الذي يسلكهُ الجميع متحدين

" لا يحمل الحقد من تعلو بهِ الرتبُ ولا ينال العلى من طبعهُ الحسدُ

" البغضة تولد البغضة والغيرة عمياء

" على كل امرء ان يضحي مصلحتهُ الخاصة لاجل مصلحة بلادهِ فان الاثرة تمنع الاتحاد ولا يعمل عمل عظيم من غير اتحاد "

هذه الاقوال كتبت منذ الف وثلثمئة سنة وهي ادلُّ شيء على اخلاق اليابانيين فانهم اوجبوا على انفسهم تعلمها والجري عليها منذ ثلاثة عشر قرنًا الى الآن فرسخت في نفوسهم واليها ينسب ارتقاؤهم ولذلك لا يستغرب قولهم ان تمدنهم قديم ولا ما يُرَى فيهم من التفاني في حب وطنهم واعلاء شأنهِ واندفاعهم كلهم نحو ذلك من الامير الى الصعلوك وانتفاء كل حسد وضغينة من بينهم وتمهُّد المناصب كلها للمستحق منهم من غير تمييز مهما كان اصلهُ وضيعًا . وهذه الحكم التي تضارع حكم ليكرغس وصولون تبيّن ما يرى في اليابانيين من الشجاعة والتعاون وحب الوطن والاعتماد على النفس وتفانيهم في ذلك كلهِ الى حد ادهش العالم

ولما كان الانتقال من بلاد الى أُخرى كثير المشقة كانت البلدان المرتقية تحسب نفسها

ارقى من غيرها وتحسب اهالي سائر البلدان برابرة تنقوى في نفسها الاثرة والتمسك بما عندها والتعصب لهُ فيدعو ذلك الى تأخرها . ولقد كان ذلك في مصر وبابل وفارس وفلسطين واليونان والصين وغيرها من البلدان القديمة فلا عجب اذا حسب اهالي اليابان الاولون ان بلادهم مركز المسكونة اوجدتها الالهة لهم وان ملكهم ابن السماء وانهُ من نسل الشمس التي يعبدونها . لكن هذه الدعوى وهذا الاعتداد بالذات لم يظلما عقول اليابانيين بل بقوا مستعدين للتعلم من غيرهم ولاقتباس انوار المعارف من سواهم فغلبوا كوريا واقتبسوا منها المذهب البوذي واقتبسوا من الصين كثيرًا من المعارف والصنائع وادخلوا دود الحرير الى بلادهم سنة ١٩٥ للميلاد واتوا منها بحاكة الحرير فانتشروا في البلاد يعلمون الاهالي وادخلوا منها زراعة الشاي سنة ٨٠٥ . ويظهر من ذلك ان اليابان كانت مستعدة دائمًا لتقتبس من الغير ولكنها كانت تتصرف في ما تقتبسهُ حتى يناسبها ولا تتقيد بهِ تقيدًا اعمى

وتسلطت الديانة البوذية على اليابانيين حتى حسبوا الصينيين ارقى منهم علمًا فلما قامت قيامة البوذيين على دعاة الديانة المسيحية من البرتغاليين في القرن السادس عشر رأت اليابان ان تقفل ابوابها دون الاوربيين وظلت ابوابها مقفلة من سنة ١٦٣٨ الى سنة ١٨٥٣ وهي سكرى بخمرة الاستقلال لكن مدافع الكومودور بري ايقظتها من سكرتها فانهُ اتاها باسطولهِ سنة ١٨٥٣ طالبًا منها ان تفتح ابوابها للتجارة والاَّ فتحها عنوةً . وكانت تحسب نفسها منيعة الجانب بعيدة عن الاجانب فعدَّت تطاولهُ عليها ذنبًا لا يغتفر ونفرت من هذا الطلب نفورًا هزَّ اركانها . والشعور الوطني في بلاد اليابان اشدُّ تأثرًا منهُ في سائر البلدان . وقد وصف ذلك احد اليابانيين المعاصرين قال ما ترجمتهُ

"جاءنا رجل اميركي اسمهُ بري مدعيًا انهُ موفد من قبل الولايات المتحدة الاميركية ودخل الى اوراغا في ولاية سجامي باربع بوارج حربية وقال ان معهُ كتابًا من بلادهِ مرسلاً الى اليابان ويريد ان يسلمهُ الى ملكنا بيدهِ ولما بلغ والي الولاية ذلك اضطرب وذهب بنفسهِ ليسمع ما يقولهُ هذا الرجل فرأى انهُ يطلب ان يسلم الكتاب الى احد الوزراء ويبين لهُ غرضهُ من زيارتهِ فارسل الوالي رسولاً الى القصر في يدو يخبر بما توقع ثم تلتهُ رسل اخرى فاضطرب الشوغن[1] ايوشي واستدعى مشيريهِ اليهِ ليستشيرهم في الامر

وقد جاءهم هذا الخبر فجأةً فادهشهم وحصروا عن الكلام سيفي اول الامر ثم ارسلت الاوامر الى رؤساء القبائل ليحفظوا الثغور مخافة ان تهاجمها سفن البرابرة . وأرسل احد

(١) الشوغن قائد الجيش العام في بلاد اليابان وقد عظم شأنهُ حتى كاد يكون مستقلاً بالامر والنهي

العلماء الصينيين الى اوراغا فقابل الرسول الاميركي وعاد ومعهُ الكتاب الذي اتى بهِ وفيهِ تُعرب الولايات المتحدة عن رغبتها في ربط رُبط الصداقة والتجارة مع اليابان سلماً او حرباً

" فاضطرب الشوغن من جراء ذلك وعقد مجلسهُ واستشار امراءهُ في ذلك فاقاموا يتذاكرون النهار كلهُ وليلتهُ . وأخبر اعيان المدينة انهُ باح لهم ان يبدوا ما يرونهُ من الاراء في هذا الشان فاختلفت آراؤهم جداً حتى لم يقروا على قرار

" وكان الجنود قد اهملوا صناعة الحرب وعكفوا على الملاهي والملاذ ومضت سنون كثيرة من غير ان يتقلد احد سلاحهُ ولذلك قلقوا اشد القلق لما بلغهم ان الحرب قد نشبت حالاً وجعلوا يفتشون عن اسلحتهم واضطربت مدينة يدو كلها والقرى المجاورة لها حتى اضطرَّ الحكام ان ينشروا المنشورات لتسكين الاهالي . هذا كلهُ والرسول يلجُّ في طلب الجواب "

واتفق ان الكومودور بري وصل الى بلاد يابان وهي في اشد ازمة من تاريخها فان الجنود او الفريق الحربي من الاهالي كان قد قبض على ازمة الحكومة . منذ سنة ١١٩٢ للميلاد ولم يكن الشوغن سوى قائد للجيش يعينهُ الميكادو فصارت ادارة البلاد في يدهِ وصار صاحب الامر والنهي واصبح الميكادو ملكاً بالاسم لا بالفعل (كما صار الخلفاء العباسيون في آخر عهدهم) وبقي لهُ المقام الرفيع ولكنهُ كان في الحقيقة اسيرًا في قصرهِ في كيوتو . وكانت البلاد مقسومة الى امارات يتولاها امراؤها وكل امارة مستقلة عن غيرها وعن البلاد كلها في جنديتها وماليتها وقوانينها وكان هؤلاء الامراء مستبدين يظلمون الرعية ويتهنونها ويدسون الدسائس بعضهم لبعض الاَّ ان كثيرين منهم كانوا يكرمون ارباب العلوم والفنون ويجلُّون قدرهم فصارت قصورهم محط رحال العلماء ومنها نشأت الثورة التي ثارتها البلاد على الشوغن

وسنة ١٧١٥ اتمَّ الامير ميتو كتابهُ تاريخ اليابان فانتشرت نسخهُ في البلاد وفيهِ وصف مسهب لما حلَّ بسلطة الميكادو من الضعف واغتصاب الشوغن لمقاليد الاحكام فلما اطَّلع عليهِ الناس زاد نفورهم من الشوغن وكان ذلك اكبر باعث لهم على نزع السلطة من يدهِ وارجاعها الى الميكادو

وتلا هذا التاريخ تاريخ آخر الفَّهُ المؤرخ راي سانيو من كبار الكتاب والشعراء حمل فيهِ على الشوغن وابان ظلمهُ في اغتصابهِ مقاليد الاحكام من اربابها وعزَّز اقوالهُ بالادلَّة التاريخية والمنطقية وتتبع تاريخ اليابان الى مبداهِ وتاريخ الاسرة الملكية ونسب كلَّ ما حلَّ بالبلاد من الاِحن الى نزع السلطة من يد الميكادو وانتشر هذا الكتاب حالاً واقبل الناس على قراءتهِ فاقتنعتهم ادلتهُ وقوي بهِ حزب الميكادو . وكان كهنة شنتو يحسبونهُ معبوداً لهم ومصدراً لكل

الفضائل وكانت ديانتهم قد تولاّها الخمول منذ عهد طويل فانتعشت حينئذٍ وهبّ اصحابها لنصرة الميكادو وهم الفريق الاكبر من الاهلين لانها ديانة البلاد وطلبوا رد السلطة اليهِ

ووقعت البلاد حينئذٍ بين نارين نار الوعيد والتهديد من الاسطول الاميركي ونار الثورة الداخلية . لكن شعور الامة رجح على الثورة واقنعها بانهُ لا بدَّ لها من الاتحاد لكي تقوى على مقاومة العدو الخارجي الذي تطاول عليها . وزاد غيظها وزادت انفتها لما علمت ان الشوغن وافق الاجانب وامضى المعاهدة التي طلبوا منهُ امضاءها رغماً عن تحذير الميكادو لهُ ان لا يفعل . وقد امضاها خوفاً من الاجانب ففتح البلاد لهم وصار همُّ الاهلين حينئذٍ هل يسمحون للاجانب بالاقامة في بلادهم او يستأصلون شأفتهم منها . ورأى جمهورهم ان لا بدَّ من طرد كل اجنبي فوقف الشوغن عندهم موقفاً حرجاً لانهُ امضى تلك المعاهدة رغماً عن الميكادو . ونشر الميكادو حينئذٍ امراً ملكيًّا قال فيهِ " ان مصادقة الاجانب ومعاملتهم جلبتا العار على البلاد فيحسن بمدينة كيوتو ومدينة يدو ان تتحد وتحاربا حروب المملكة " وشاع هذا المنشور في البلاد كلها ودوت لهُ من اقصاها الى اقصاها وصرخ السكان قائلين ابطلوا الشوغنية وردوا الميكادو الى عرشهِ

وزاد حقد اليابانيين على الاجانب فقتلوهم من غير سبب واطلقوا المدافع من الثغور على السفن الاجنبية فدعا ذلك الى اطلاق القنابل على كوجوشيما في ١١ اغسطس سنة ١٨٦٣ وشيمونوسكي في ٥ سبتمبر سنة ١٨٦٤ . وحاول اليابانيون الدفاع فرأوا ان مدافعهم دون مدافع خصومهم فقالوا لا بدَّ لنا اذاً من مدافع مثلها لكي نستطيع محاربتهم . وكتب الميكادو الى الشوغن يقول

" عقدت مجلساً بالامس مع مشيريَّ فوجدت ان سني السلم التي مرَّت علينا جعلتنا غير قادرين على اذلال اعدائنا بالسلاح واذا قابلنا بين بوارجنا ومدافعنا وبوارج البرابرة ومدافعهم وجدنا ان ما عندنا لا يكفي لارهاب اعدائنا البرابرة ولا لتمجيد اسم اليابان في البلدان الاجنبية وانما نجعل انفسنا هزءاً في عيونهم اذا قاومناهم بها "

ولم تكن الخسارة كبيرة من اطلاق المدافع على تينك المدينتين ولكن اليابانيين استعظموها ولم يستخفوا بها لانهم رأوا فيها اذلالاً لهم ودوساً لاستقلالهم فرأوا ان زمن الانقسام والعزلة قد مضى وانهُ لا بدَّ لهم من الاتحاد داخلاً والاختلاط بغيرهم من الامم خارجاً . وقد كتب الاستاذ تويوكيشي اينوكي في هذا الصدد ما ترجمتهُ

" ان اطلاق المدافع على مدننا ارانا ان لا بدَّ من اتحادنا لكي نقابل الاجانب بالقوة

سواء رجنا بهم او افصيناهم عنّا وهذا يستدعي تغييرًا عظيماً في نظام البلاد الداخلي فيجب ان ترد الاموال الاميرية كلها الى خزينة واحدة وتحسب للامة وان تفوّض اركان الحكومة الاقطاعية من البلاد ولا يعترف الاّ بحاكم واحد لها اليه المرجع في كل الامور . وقد دعا ذلك الى تنظيم الحكومة الذي تمّ سنة ١٨٦٨ فكان لاطلاق المدافع على كاجوشي وشيمونوسكي يد في هذا التنظيم لان التهديد والوعيد اوجبا الاستعانة بالامة كلها والاستعانة بها دعت الى مشورتها والوقوف على رأيها بعد لم شعثها فعقدت مجالس الشورى واجتمع فيها الامراء والرؤساء والوجهاء للنظر في دفع العدو عن البلاد "

ولما رأى الشوغن ان الاتحاد وردّ السلطة الى الميكادو لازمان لحفظ استقلال البلاد عمل عملاً لا مثيل لهُ في تاريخ الامم فتغاضى عن مصلحة نفسه ومجد اسلافه الذين حكموا البلاد منذ مئات من السنين وقال ان المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة فاستعفى من منصبه في التاسع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٦٧ ونشر منشورًا يُعدُّ مثالاً للغيرة الوطنية قال فيه

" لقد رأينا لدى امعان النظر في الشؤون المختلفة التي تقلبت عليها السلطنة انهُ لما انحطت سلطة الملوك انتقلت القوة الى ايدي الوزراء ثم انتقلت منها سنة ١١٥٦ الى ايدي الجنود . ولقد نالَ سلفي الاول من الثقة ما لم ينلهُ قائد قبلهُ وجرى خلفاؤهُ بعدهُ في خطتهِ اكثر من مئتي سنة وقد سرت انا في خطتهم ولكن مصالح البلاد لم تقم ولم تُوفَ الاحكام حقها ولذلك فاني اعترف بالاتضاع التام ان قصوري سبّب المشاكل الحاضرة . ثم ان معاملاتنا مع الاجانب اتسعت رغماً عنا ولا يسعنا ان يكون لنا سلطة عليها ما لم نستعن بقوة البلاد كلها . فاذا تغير النظام القديم ورُدّت السلطة الى المجلس السلطاني وجُمع رجال الشورى من البلاد كلهم واعتمدت الحكومة على مشورتهم واذا اتحدنا كنا قلبًا وقالبًا لحماية بلادنا امكننا ان نجاري امم الارض . وهذا يشمل كل ما يجب علينا نحو بلادنا "

وهذا الاعلان الصريح يوافق ما قالهُ الشوغن للسر هنري باركس ولسفير فرنسا وهو

" لقد ثبت لي منذ الخريف الماضي ان البلاد لا تفلح ما دامت السلطة مقسومة بيني وبين الامبراطور (امبراطور اليابان او الميكادو) لذلك اعلمتهُ اني تنازلت عما لي من السلطة رغبةً في خير البلاد على شرط ان يجتمع مجلس الوجهاء ويحكم كيف تدار شؤون البلاد في المستقبل ومن يديرها . وبفعلي هذا اغضيت عن مصلحتي الخصوصية وتركتُ السلطة التي تسلمتها من اسلافي في سبيل المصلحة العمومية فخرجت من ميدان النزاع بدلاً من ان اقاوم

القوة بالقوة . اما من هو ملك اليابان الحقيقي فهذه مسألة لا يختلف فيها اثنان من اليابانيين لان الامبراطور هو الملك الحقيقي

ولقد كان غرضي من اول الامر ان اجري حسب مشيئة الشعب فاذا شاء ان اتنازل عن حقوقي فانا اتنازل عنها رغبة في خير بلادي وليس لي غرض غير هذا وهو ان اتنازل عن حقوقي الموروثة من اسلافي بشرط ان يجتمع وجوه البلاد وعظماؤها ويبحثوا في الامر بحثاً خالياً من الغرض ويعمل برأي الاكثرية في اصلاح الحكومة والدستور"

فقضي الامر وفُصل الخلاف بين الميكادو والشوغن لا بحرب اهلية تمزق البلاد وتزيل ما فيها من الرمق بل بحب الوطن الذي يدعو الى تضحية المصلحة الخصوصية في سبيل المصلحة الوطنية

فقبل الميكادو استعفاء الشوغن واقام الوزراء وقلدهم شؤون الدولة فكان اول شيء فعلوه ان رفعوا اليه عريضة يقولون فيها

" اننا نخشى ان نكون سائرين في خطة الصينيين الذين توهموا انهم الشعب الوحيد الذي يستحق الاكرام وان الاجانب كلهم لا يستحقون الا الاحتقار فتغلب الاجانب عليهم واذلوهم

" ويظهر لنا بعد امعان النظر انهُ يجب علينا كلنا رفيعنا ووضيعنا ان نتحد في فهم مطالب هذا العصر وفي وجوب العمل بما يصلح البلاد

" لقد كانت بلادنا حتى الآن منعزلة عن سائر البلدان وجاهلة ما في العالم من القوى ولم يكن لنا غرض الا تجنب المشاق التي تنشأ عن امتزاجنا بغيرنا فكنا نزيد تأخراً يوماً بعد يوم حتى صرنا في خطر من ان تتسلط علينا دولة اجنبية

" ولكن اذا مضينا الى البلدان الاجنبية ونظرنا الى ما فيها من الفوائد وقابلنا تقدمها المستمر . ونظام حكوماتها الجارية بحسب مقتضيات العقل . وكفاءة جنودها وسائر قواها الحربية . وكثرة الاقوات لشعوبها اذا قابلنا ذلك بما في بلادنا اتضحت لنا جلياً اسباب التقدم والتأخر

" ولا بد لنا من طرح التعصب الذي كان متسلطاً علينا حتى الآن اذا اردنا ان نردَّ مملكتنا الى مجدها السابق ونرفع مقامها في عيون الاجانب

" ونرجو ان يفتح رجال بلاطكم عيونهم ويتحدوا مع الذين دونهم وينفقوا معهم على ما به مصلحة المملكة ويستعينوا بالاجانب في ما هم ادرى منا به فتتوطد اركان مملكتنا ابد الدهر .

ولنطرحنّ جهلنا السابق الذي كان يحملنا على تلقيب الاجانب بالكلاب والجداء والبرابرة ولنصلحنّ رسوم البلاط التي اقتبسناها من الصينيين فنسمح لسفراء الدول بدخوله حسب الرسوم المتبعة في بلادهم . وليُعلَنّ ذلك في المملكة كلها حتى يعلم العامة كيف ينظرون الى هذه الامور . هذا ما نتوسل به نعرضهُ بالاحترام والاتضاع "

ولقد كان من حظ اليابان ان الميكادو نفسهُ رأى الحاجة ماسّة الى الاصلاح . ولو كان متوسط المدارك او لم يحط به رجال واسعو الخبرة بعيدو النظر في العواقب لكان اكتفى باسترجاع السلطة التي فقدها اسلافهُ منذ قرون كثيرة وظلّ الى الآن مستقلاً مستبدًّا او لاكتفى بتحصين بلاده حتى تعود الى العزلة التي الفها شعبها وتطرد الاجانب منها . ولكن كان من حظ اليابان ان ملكها هتسو هيتو وافق المصلحين قلباً وقالباً واقسم امام رجاله في السابع عشر من شهر ابريل سنة ١٨٦٩ انهُ يفعل الامور الخمسة التالية وهي

اولاً ان تنشأ في البلاد جمعية عمومية ويكون الحكم في الامور حسب الرأي العام

ثانياً ان تدرَّس مبادئ العلوم الاجتماعية والادارية بدرسها الشعب كلهُ خاصتهُ وعامتهُ

ثالثاً ان يُسهل لكل احد ان يعمل كل ما هو صالح وجائز

رابعاً ان تلغى كل الرسوم والشعائر القديمة التي لا تنطبق على قوانين العقل ويجرى في ادارة البلاد على حسب النواميس الطبيعيّة والاجتماعيّة

خامساً ان يفتَّش عن العلم والحكمة في كل اقطار المسكونة لكي يُقتبسا ويجعلا اساساً لبناء السلطنة

فوقف موقف المصلح واقسم ان يسير بامته في اوسع طرق الاصلاح وبرّ في قسمهِ ومن ثمّ جعلت الامة كلها تتسابق الى الاصلاح المطلوب وتتنافس فيهِ وغرضها كلها واحد — توحيد السلطة وترقية المملكة

والناظر في احوال اليابان حينئذٍ يرى فيها شوغنًا تخلّى عن منصبهِ الرفيع وتنازل عن حقوقهِ الموروثة وسلّم مقاليد البلاد للميكادو . ويرى الميكادو ترك تقاليد آبائهِ واجدادهِ وتنازل عن عرش التأله الذي كانت رعيتهُ تحلهُ فيهِ وعن الحكم المطلق الذي كان لاسلافهِ . والامران على عظمهما لا يستحيلان لانهما متوقفان على ارادة رجلين ولكن النظام الاقطاعي كان راسخًا في البلاد كلها فكانت اقساماً كثيرة وعلى كل قسم منها امير او رئيس مستقل باعوانهِ وجنودهِ فهل كان في الامكان نزع السلطنة من ايدي هؤلاء الامراء والرؤساء وتوحيدها في شخص الميكادو ومجلس الامة . لكن ما تقدّم من حب اليابانيين لوطنهم سهّل عليهم كل عسير فقام

داميو اكدزوكي رئيس الكوجيشو (اي مجلس رؤساء القبائل) ورفع خطاباً الى الميكادو قال فيهِ

"لقد استخدم الامراء بلادهم ورجالهم لاغراضهم واختلفت الشرائع والقوانين التي يسوسون اقطاعاتهم بها حسب اختلافهم

"ولقد سُمُّوا سياج الدولة وهم سبب انقسامها وانحطاطها فكيف تجاري بلادنا الصغيرة سائر البلدان التي وراء البحر وكيف تفلح وتنجح

"من كان منا امينًا لبلادهِ محبًّا لوطنهِ ساعيًا في رفع شأنهِ وتعزيز اركانهِ فليفعلْ ما يأتي

(١) يرد الى الامبراطور الاقطاعة التي اخذها ويعود عضوًا في بلاد دستورية غير منقسمة

(٢) يترك القابهُ كلها ويكتفي بلقب كوازوكو (وجيه) وبعقار يقوم بمعيشتهِ

(٣) يترك ضباط جنود القبائل القابهم ويسمون انفسهم ضباط الامبراطور فتعطى لهم رواتب توازي املاكهم

ليُعمل بهذه الامور الثلاثة فتقوم دعائم السلطنة على اسس راسخة"

فجعل الامراء والرؤساء يتبارون في نزع القابهم وتسليم املاكهم واموالهم للميكادو

وكان عدد هؤلاء الامراء والرؤساء ٢٥٨ فتنازلوا كلهم عن املاكهم وكانت واسعة كثيرة الريع حتى ان املاك ١١٨ منهم يبلغ ريعها السنوي من الارز ما يساوي ٢٤ مليونًا من الجنيهات فتوسط دخل كل واحد منهم مئتا الف جنيه في السنة. وفي التاسع والعشرين من اغسطس سنة ١٨٧١ صدر امر ملكي يقال فيهِ "أُلغي النظام الاقطاعي وأُقيم بدلاً منهُ ولاة لحفظ الامن"

وكان الجنود ورؤساؤهم يتقاضون ما يساوي مليوني جنيه كل سنة فتنازلوا عنها واكتفوا بمعاش طفيف يسد الرمق واضطرت الحكومة الجديدة ان تستدين من شعبها اربعين مليونًا من الجنيهات لكي يعطى منها المعاشات والرواتب للامراء والرؤساء والجنود الذين تنازلوا عن كل ممتلكاتهم. وتُوِّج هذا الانقلاب العظيم بالدستور الذي منحهُ الميكادو لبلادهِ سنة ١٨٨١ واوجب العمل بهِ من سنة ١٨٩٠. وسنعود الى تفصيل ذلك في فرصة أُخرى